الطربوش ام البرنيطة (١)

بحث تاريخي

الذين ذكروا الطربوش من الكتّاب قالوا ان السلطان محمود الثاني لبسهُ في اواخر ايامهِ وجعلهُ لباساً رسمياً لرجال الحكومة والجند ويؤيد ذلك الصور المحفوظة لمحمد علي باشا فانها كانت اولاً تمثلهُ بالعمامة وصارت اخيراً تمثلهُ بطربوش مغربي . وعندنا صورة زيتية اصلية لابرهيم باشا تمثلهُ لابساً الطربوش المغربي ومتمنطقاً بزنار طرابلسي . وصورة للسلطان عبد المجيد في بداءة حكمهِ تمثلهُ لابساً الطربوش المغربي وقد نشرتها مس باردو الكاتبة الانكليزية الشهيرة التي زارت الاستانة ١٨٣٦ وكتبت كتابها البديع عن البوسفور والدانيوب وعنهُ نقلنا الصورة التالية

ويقال ان الطربوش منقول عن اليونان ولكننا نظن انهُ كان يلبس في المغرب الاقصى لانهُ كان يصنع هناك ويطلق عليهِ في اللغات الاوربية كلة فاز او فاس ويقال انها مأخوذة من اسم مدينة فاس احدى عواصم المغرب الاقصى

وقد مرَّ شكل الطربوش في عهدنا على ادوار مختلفة فلم نكن نرَ منهُ منذ سبعين سنة الاَّ النوع المغربي الذي يلبسهُ الآن اكثر العرب في القطر المصري . ثم لما توفي السلطان عبد المجيد وخلفهُ السلطان عبد العزيز سنة ١٨٦١ تغير الطربوش شكلاً ولوناً « وشرابة » (عذبة) فصار ضيقاً من اعلاهُ واسعاً من اسفلهِ وصار لونهُ الاحمر ضارباً الى السمرة وصارت شرابتهُ خيوطاً سوداء قليلة بعد ان كانت حريراً ازرق غير مفتول . ولا يزال

(١) نقلنا لفظة البرنيطة على لفظة القبعة لان البرنيطة شائعة على الالسنة والقبعة غير شائعة وهي اعجمية دخيلة . مثل البرنيطة . والظاهر ان دخولها حديث فلم يذكرها الجوهري في الصحاح مع انه كان في اواخر القرن الرابع الهجري ولا الزمخشري صاحب الاساس مع انه كان في اواسط القرن السادس ولا ابن منظور صاحب لسان العرب مع انه كان في بداءة القرن الثامن وانما ذكرها الفيروزابادي في القاموس فقال (والقبعة كقبرة خرقة كالبرنس) وكان الفيروزابادي في اوائل القرن التاسع . والظاهر ان الكلمة دخلت العربية في زمن الحروب الصليبية ولم تشع فيها الا في القرن الثامن وهي ليست من الالفاظ المستعدية لدخول القاف والذين فيها ولان الذين كانوا يعالجون داء الفرع في القرن الماضي كانوا يلبسون الاترج كة مطلية بالقار او القطران يسمونها قبعاً ويسمون المعالجة به تقبيعاً فالبرنيطة خير من القبعة من كل وجه وقد شاعت حتى في الحجاز . قال لنا مرة وزير مصري لا اقدر ان اكثر عدد المفتشين من الوطنيين خوفاً من البرنيطة يريد مستشار وزارته

السلطان عبد الحميد خان

مقتطف اغسطس ١٩٢٦

امام الصفحة ١٤٠

التغير في شكله مستمرًّا الى الآن . واتخذت مصر خطوات سائر الولايات العثمانية في لبسه وكذلك بعض البلدان في افريقية والشرق الاقصى . ولبسهُ بعض النساء ايضاً وكنَّ يضعن عليهِ قرصاً من الفضة او الذهب او خيوط الحرير المدلاَّة حولهُ كالهداب ويكون لهُ شرابة طويلة مبسطة تغطي العنق واعلى الظهر . ولكن لم يعمَّ لبس الطربوش النساء ولا الرجال فكان القطر المصري من الذكور يزيدون على سبعة ملايين ولكن الذين يلبسون الطربوش منهم لا يبلغون مليوناً ولم نرَ امرأة تلبسهُ فكانهُ شعاراً وطنيًّا مبني على انهُ لبس الحكام والجند وعلى ان الحكومة العثمانية فرضت لبسهُ على عمالها من غير الاتراك ايضاً وهي والحكومة المصرية فرضتا لبسهُ على الذين ينتظمون في خدمتها من الاوربيين

بحث صحي

لما ابطلت حكومة الجمهورية التركية لبس الطربوش في العام الماضي وفرضت على شعبها لبس البرنيطة (او العمامة لخدمة الدين) اهتم البعض من اهالي القطر المصري بما فعلت وودوا ان يقتدوا بها في لبس البرنيطة كما اقتدوا في لبس الطربوش . فتمنت وزارة المعارف تلاميذ مدارسها من ذلك وافتى بعض العلماء ان في لبس البرنيطة اقتداء محرماً بالاوربيين . لكن ذلك المنع وهذا الافتاء لم يثيرا الميل الى لبس البرنيطة وقال اصحابهُ انا اقتدينا بالاوربيين في لبس السترة والبنطلون فلماذا نبقى مصرين على عدم الاقتداء بهم في لبس البرنيطة ولم يفتهم ان الطربوش اصبح شعاراً وطنيًّا يميز الذين يلبسون الثياب الافرنجية عن الافرنج . وعززوا موقفهم بسبب آخر وهو ان لبس البرنيطة اوفق للعينين وقاء العنق من لبس الطربوش في فصل الصيف . فنظرت الرابطة الشرقية في هذا الموضوع واستفتت فيهِ الجمعية الطبية المصرية لانهُ صار مسألة صحية ، وحبذا لو كان الاستفتاء من قبل الحكومة المصرية

فاجتمعت الجمعية الطبية وبحثت في هذا الموضوع واتفق اكثر اعضائها على ان الطربوش لا يقي العينين والمخ من اشعة الشمس وحرها صيفاً . وهذا هو الواقع فالعمامة خير منهُ من هذا القبيل ولاسيما اذا كانت واسعة مكورة وهما عذبة تقي العنق ولكن لا يحتمل الرجوع اليها فتبقى خاصة بخدمة الدين ورجال الشرع تمييزاً لهم عن غيرهم كما هم ممتازون بلباسهم

وليس من الصواب المبالغة في ضرر الطربوش فان للعادة شأناً كبيراً في احتمال الحر او قلة احتمالها فالذي يجول في الارياف في هذا الشهر يجد الفلاحين يعملون

في الظهيرة ولا شيء يقي عيونهم ورؤوسهم غير لبدة عليها منديل صغير . و بعضهم اعتاد لبس برنيطة من الخوص وهيا لابس البرنيطة ليستا اصحّ من عيونهم ولا هو احدّ منهم بصراً . وناظر الزراعة يقف وفي يده شمسية تظلهُ وعيناهُ ليستا اسلم من عيون فلاحيه وحرارة الشمس لا تتعب وقلما تضرُّ الاَّ اذا سكن الهواء وقلَّ تبخُّر العرق من الجسم . كنا مرةً في الخرطوم وكانت الحرارة ٤٥ بميزان سنتغراد فرأينا ضباط الانكليز يلبسون الشمس في الظهيرة ورؤوسهم حاسرة في عين الشمس لان العرق الذي كان يتصبب من ابدانهم كان يتبخَّر حالاً فلا تعلو حرارة رؤوسهم وابدانهم فوق معدلها الطبيعي. واتفق ان بلغت الحرارة في القاهرة الدرجة ٤٧ سنة ١٨٨٦ فكنا نسير في الشارع والريح تهب حارة هوجاء فنشعر كأنها ماء سخن ينصب علينا ولم يصبنا منها اقل ضرر ولا شعرنا بتعب غير عادي . وسنة ١٨٩٣ كنا في مدينة لندن في شهر اغسطس فبلغت الحرارة ذات يوم نحو ٢٩ درجة على ما نتذكر فشعرنا كأنا في اتون واصيب البعض ذلك اليوم بالرعن (ضربة الشمس) ومات كثير من خيل المركبات من شدة الحر لا لان حر الشمس كان فوق الطاقة لذاته بل لان سكون الهواء وكثرة الرطوبة منعا تبخر العرق من الاجسام. وان كان للبرنيطة مزية صحية على الطربوش فللطربوش مزية عليها شتاء لان لابسهُ لا يضطر الى خلعهِ بين اونة واخرى وتعريض فروة رأسهِ للبرد

الاسباب الاجتماعية

لما اختارت الجمهورية التركية البرنيطة لم تختارها لسبب صحي بل لسبب اجتماعي وكذا فعل الصينيون واليابانيون في اختيار اللباس الاوربي لجنودهم البرية والبحرية ولرجال حكومتهم وكذا فعل الخلفاء العباسيون في لبس سودة العراق . ولقد كنا نود ان نكون في مكان من العزَّة والمنعة والعمران حتى يقتدي بنا اهالي اوربا واميركا في مأكلنا ومشربنا وملبسنا واثاث بيوتنا وحينئذٍ لا يهمنا ولو مشينا حفاة حاسرين او لبسنا بلغة في ارجلنا وخرقة سوداء على رؤوسنا. ولكننا متصلون باقوام يستعزُّون علينا في كل شيء ويريدون ان يبقوا ممتازين علينا وان لا نتشبه بهم في لباسنا كما لا يريد سيد البيت ان يلبس خدمهُ مثل لبسهِ . ونحن نبذل الآن قصارى الجهد حتى لا نبقي للاوربيين مزية علينا لا في العلم ولا في الثروة ولا في المراكب ولا في تنظيم البيوت وتأثيثها . فلا طبيبهم افضل من طبيبنا ولا جرَّاحهم افضل من جرَّاحنا ولا مهندسهم افضل من مهندسنا ولا محاميهم افضل من محامينا ولا تاجرهم اقدر من تاجرنا ولا مزارعهم اقدر من مزارعنا فنبغي

ان لا نرى لهم مزية علينا في اللباس وقد لبسنا كل لباسهم حتى الاحذية والجوارب والقمصان والياقات (الاطواق) واقتدت نساؤنا بنسائهم في كل شيء ولم يبقَ الاَّ لباس الرأس فالاقتداء بهم فيهِ يزيل هذا الفارق الاجتماعي ولا يحسن ان يقتدي بهم فيهِ كل احد منا لان اكثر من تسعة اعشار السكان لم يلبسوا البطلون والسترة حتى الآن ولا ينتظر أن يقلعوا عن لبسهم الوطني و يقتدوا بالباقين في سنة او بضع سنوات ولا ينتظر ايضاً ان يقدم جمهور لابسي الثياب الافرنجية على خلع الطربوش ولبس البرنيطة ما لم يفعل ذلك ملك البلاد ورجال حكومتهِ كما فعل قبلهم محمد علي ورجال حكومتهِ لما خلعوا العمامة ولبسوا الطربوش.ولكن اذا حدث ذلك بعد زمن قريب او بعيد فلا يكون منهُ شيء من الضرر وقد يكون منهُ نفع كبير ولو ادبيًّا

هذا والبرانيط كثيرة التغير عند الافرنجيات ولكن برانيط الرجال منهم قلما تبعد عن ثلاثة اشكال او اربعة واما برانيط النساء فاشكالها لا تحصى . وان كنا نود ان يلبس رجالنا البرانيط فنأسف اذا جارتهم نساؤهم وتبعن الازياء الاوربية التي تتغير كل شهر اما اذا مددن ارجلهن على قدر بساطهن وجدن غير الخيات برانيط رخيصة الثمن جدًّا فان الاوربيات اللواتي يجارين تغير الازياء قليلات وسائر النساء برانيطهن رخيصة الثمن وقلما يتغير شكلها

ومما يذكر هنا على سبيل الفكاهة تفنن الامم في لباس الرأس كما ترى في الصور التالية فمنهُ ما هو جميل جدًّا ومنهُ ما هو في حد القرابة او الشناعة ولا جدال في الذوق

فالناظر الى الصور المدرجة على الصفحة التالية يرى في اعلاها من الجهة اليمنى منظراً لهُ في هذا القطر رأس امرة وضعت تلها على رأسها واسدلت برقعها على وجهها وناطت قصبها بين عينيها لكي ترى ولا تُرى . لباس حشمة ولكن طول البرقع بالغ جدًّا عظيماً . وكأن المرأة جارية سوداء تحسن اذا غطَّت وجهها حتى لا يراهُ احد . والى يمينها رأس امرأة من نساء التتر البواسل وقد اكثرت الغصائب كأنها رأت زوجها اطول منها فغارت منهُ وزادت قامتها شبراً او اكثر بما كوَّمتهُ على رأسها . والى يمينها زيٌّ كنا نراهُ كثيراً في صبانا في جبال لبنان ولم يبقَ لهُ اثر فيها الآن وهو طرطور من الفضة يوضع على الرأس و ينشر النقاب عليهِ الاَّ ان اللبنانيات كنَّ يحنين طراطيرهنَّ إلى الامام لا إلى الوراء فكان النقاب يغطي وجوههنَّ و يبقى بعيداً عنها فلا يعيق تنفسهنَّ ولا يمنع اهدابهنَّ الطويلة من الحركة وهو يضطرهنَّ إلى الاقعناس لكي يبقى مركز ثقلهنَّ داخل القاعدة لحفظ الموازنة كما ان من يحمل حملاً على ظهرهِ يضطرهُ ان يحدودب لكي لا يسقط إلى

الوراء ومن يحمل حملاً على صدره يضطرّ ان يقنص لكي لا يسقط الى الامام وهلمّ جرًّا . فالطرطور الذي كان شائعاً في بلاد الشام منذ سبعين عاماً ليس بمستهجن كما يُظَن ولا هو خالٍ من كل نفع . اما الطرطور المرسوم ههنا فلا نفع منهُ ويقال انهُ خاص باليهوديات في بلاد الجزائر

وتحت ذات الطرطور رأس امرأة من نساء بلجكا الحسان المنظر والكنّة التي عليهِ بسيطة ولعلها من نسيج ابيض يغسل ويكوى فيبقى نظيفاً خفيفاً يقي الرأس ويحفظ الشعر ولا يخفي شيئاً من معالم الوجه . قابل بين هذه المرأة والمرأة التي على يسارها وما رفعتهُ على رأسها كجناحين منشورين وهي من الغوالي الافرنجيات فان كان ما رفعتهُ شعرها صحّ فيها قول امرئ القيس « غدائرهُ مستشزرات إلى العلى » والاّ فلها اسوة بالاوربيات اللواتي يتزعن اجنحة الطيور ويتزينّ بها حتى تألفت الجمعيات في اوربا واميركا لمنع هذه القسوة . وتحتها فتاة من هنود جزيرة بورنيو في الهند الشرقية لا غرض لها من الطبق الكبير الذي وضعتهُ على رأسها الاّ الاستظلال من اشعة الشمس المحرقة فهي من الفلاسفة النفعيين الذين اشتهر امرهم في هذا العصر . ولو كان للجمال صورة في ذهنها لضيّقت هذا الطبق شبراً من كل ناحية فانهُ لا يقصر عن تظليلها حينئذٍ ولا يعيقها في حركاتها . والى يمينها فتاة افرنجية سدولة الشعر ولعلها خلاسية متولدة بين العرب والزنوج . والكنّة التي على رأسها اشبه شيء بالبرانيط الاوربية التي كانت شائعة منذ ثلاثين سنة . ولعلّ الاوربيات اخذنَ زيهنّ حينئذٍ عنها . وتحتها رأس امرأة من نساء الفرس لفّت خمارها على رأسها ووجهها حتى لم تبقِ الاّ عينيها وحاجبيها حيث يظهر جمال الوجه على اتمّهِ فان ارادت التحجّب لكي لا تغوي الناظرين اليها فلا سبيل الى اظهار محاسن الوجه واخفاء معايبهِ وتوجيه الانظار اليهِ اتمّ من هذا السبيل . والى جانبها عجوز اعتاضت عما فعلت الايام بمحاسنها طاقة من الازهار نصبتها فوق رأسها كالمنار ويقال انها من سكان اواسط فرنسا ولعلها من عهد قديم لا لان نساء فرنسا ابطلنّ الآن جمع الازهار على رؤوسهنّ بل لانهنّ يجمعنها على اساليب اخرى تروق الناظر . وليس مثلهنّ بين نساء الارض في تغيير الازياء والتفنن فيها كأنهنّ انسنّ من رجالهنّ حب الجديد فيجددن ازياء ثيابهنّ وشعورهنّ كل عام بل كل فصل ارضاءً لرجالهنّ . والى جانب هذه العجوز فتاة صبوحة الوجه بارعة الجمال يقال انها من نساء بولونيا جمّدت شعرها وفرقتهُ فوق جبينها وليست على رأسها كنّة حواشيها مستديرة مثناة تحيط بهِ احاطة الهالة بالقمر فاحسنت الشبه وابدعت في التمثيل وعلى الصفحة التالية صور كتب تحتها اوصاف اصحابها

من جنود الاتراك الزملة في القرن السادس عشر

احد فرسان الاتراك في القرن السادس عشر

قاض تركي في القرن السادس عشر

من فرسان الاتراك في القرن السادس عشر

قرار الجمعية الطبية المصرية

وبعد كتابة ما تقدم عن الطربوش والبرنيطة وطبعهِ جاءنا ما اقرت عليهِ الجمعية الطبية عنها وعن سائر الثياب وهذا نصهُ

حضرة صاحب السعادة وكيل جمعية الرابطة الشرقية

بناء على ما جاء بمذكرة جمعيتكم المؤرخة ١٨ مايو سنة ١٩٢٦ بشأن استفتاء الجمعية الطبية المصرية في الملابس الصحية . اتشرف بان ابلغ سعادتكم قرار الجمعية الطبية الآتي :

السؤال الاول

هل الطربوش المنسوج من الصوف في شكلهِ المعروف ولونهِ الاحمر واق للرأس مع ما يجمع من الحواس حتى مؤخر العنق وان كان غير ذلك فما هو الاصح للاستعمال بدلاً عنهُ ومن اي مادة يكون حيكه ونسجه وعلى اي صورة يكون شكله

والجمعية الطبية ردًّا على هذا السؤال قررت ما يأتي :

غطاء الرأس يجب ان يكون خفيفاً كثير المسام لتجديد الهواء وتسهيل التبخير ومانعاً لحرارة الجو الخارجية في الصيف وحافظاً لحرارة الرأس في الشتاء ويجب ان تكون حافتهُ السفلى واسعة و بحالة يمكن دخول الهواء منها بسهولة مع ملاحظة امتداد زائدتين واحدة من الامام لوقاية العينين وحمايتها والثانية من الخلف لوقاية مؤخر الرأس

ومن الضرر الجسيم وضع شيء من قماش سميك خال من المسام على الرأس مثل الخرام الصوف او ما يماثلهُ

والطربوش الحالي بسبب نوع قماشهِ وشكلهِ ولونهِ وخلوهِ من المسام وثقلهِ يدفئ الرأس اكثر من اللازم في الصيف و يسبب فيهِ عرقاً غزيراً ومضايقة وصداعاً فهو بلا نزاع من الوجهة الصحية ضار بالعينين والرأس

والجمعية ترى ان افضل لباس للرأس يوافق جو مصر في زمن الصيف القلنسوة البيضاء (الملمت التي يلبسها عساكر الجيش البريطاني بالبلاد الحارة انما يجب ان تكون بلون ابيض) المصنوعة من الفلين والتي بها ثقوب كافية للتهوية في اعلاها و بدائرتها السفلى شريط من الجلد مثبت فيها بقطع من الفلين بينها منافذ كافية لدخول الهواء

واما في الشتاء فالطربوش اقل ضرراً منهُ في الصيف اذا كان لا بد من استعمالهِ

والاَّ (فالقبعة) العادية اصلح منهُ في الشتاء ايضاً فان اختلاف اقمشها والوانها واشكالها يسهل طينا اختيار الموافق منها صحيًّا لاختلاف الطقس

السؤال الثاني

هل الملابس الافرنكية التي تلبس الآن ملائمة لطقس بلادنا المصرية وهل يحسن صحيًّا عدم كساء الساعدين والعنق

وقرار الجمعية على هذا السؤال هو ان الملابس الافرنكية التي تلبس الآن بمصر ملائمة لجو البلاد ما دام مراعى في انتخابها ما يوافق الطقس — ففي الصيف مثلاً يجب ان تكون بيضاء خفيفة (رفيعة) لتعكس حرارة الشمس ولا تمتص شيئًا منها

هذا — وعدم كساء الساعدين والعنق صحي في زمن الصيف لانهُ يساعد على التهوية واما في الشتاء فيحسن صحيًّا تغطيتها — كما يجب انتخاب الملابس الداخلية من المنسوجات الصوفية لانها تحفظ الحرارة اكثر من غيرها واللون الاسود او القاتم يلائم الشتاء اكثر من الصيف

السؤال الثالث

ما هو الاصح طبيًّا في بلادنا بين انواع الاحذية من جهة شكلها ونوع الجلود التي تعمل منها

وقرار الجمعية في هذا السؤال هو — ان الاحذية التي من نوع (الجزمة النصف) والمصنوع سطحها العلوي من جلد طري خفيف صحية على شرط ان تكون مناسبة لحجم القدم وان يكون نعلها عريضاً بقدر عرض القدم لتكون مريحة عند ما يكون ثقل الجسم مستقرًّا عليها

وضيق الحذاء وصلابة جلده مما يضايق حركات مفصل الرسغ ويحدث (عين السمكة) والتسلخ بين الاصابع فينشب عن ذلك العرج أحياناً

ونود بهذه المناسبة ان نشير الى ان الاجانب الذين يقطنون البلاد الحارة قد اجروا تجارب عديدة صحية وعملية حتى انتهوا الى الملابس التي يلبسونها الآن والتي هي اوفق صحيًّا لمثل هذه المناطق — وقد ايد ذلك التجارب الكثيرة التي قام بها بعض حضرات اعضاء الجمعية

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام رئيس الجمعية الطبية المصرية